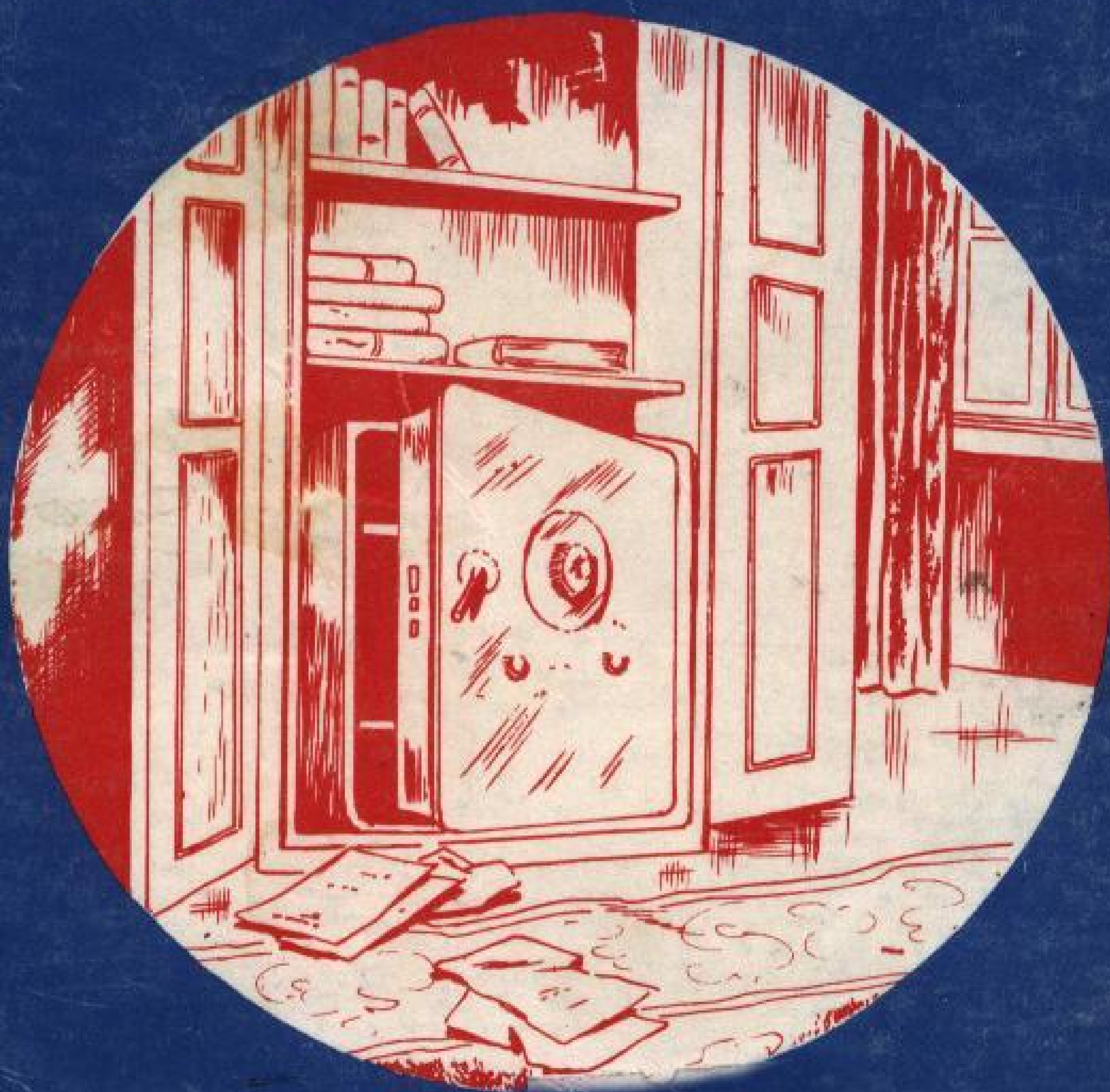
اعترافات ارسين لوبين



اعترافات آرسین لوبین

لعبــة الشمــس

« لوبين » أخبرني بالتالي شيئاً ما ..

ــ ايه ! وماذا تريدني أن أخبرك ؟ حياتي كلها معروفة ! أجابني لوبين وهو مستلق على أريكة في حجرة عملي.

ــ لا أحد يعرفها ! صحت به. نعلم من احدى رسائلك المنشورة في الصحف انك قد اشتركت في مهمة ما وانك هيأت لترويج اخرى ... لكن ما نجهله، هو دورك في كل ما يدور، حتى عمق القصة وتتابع المأساة.

ــ ياه ! كل هذه الامور تبدو لي بدون منفعة.

ــ غير نافعة، الهدية التي قدمتها لزوجة نيقولا دوغريفال والتي بلغت خمسين الف فرنك ! غير مهمة،

الطريقة الغامضة التي أدركت بها معنى لغز اللوحات الثلاث !

ــ في الحقيقة، لغز غريب، (قال لوبين) أعرض عليك عنواناً : رمز الظل.

ــ ونجاحك العالمي ؟ أضفت. وسر أعمالك الحسنة ؟ كل هذه الأقاصيص التي أشرت لي اليها مراراً والتي كنت تسميها : خاتم الزواج، الموت الجوّال ! الى آخره. كم من اعترافات متأخرة، مسكين يا لوبين !... هيّا، تشجع قليلاً ...

في الزمان الذي كان لوبين فيه معروفاً ومشهوراً مع ذلك لم يكن قد باشر بحروبه الهائلة ؛ الزمان الذي يسبق المغامرات الكبرى التي هي الابرة المجوفة و ٣١٨. ذلك دون التفكير بالاستيلاء على الكنز القديم العهد الخاص بملوك فرنسا، أو على سرقة اوروبا تحت أنف الكيزي، كان يكتفي بلكمات الأيدي الأكثر تواضعاً وبالمنافع الأكثر واقعية، منفقاً بذلك جهوداً يومية، فاعلاً الشر يوماً بيوم، والخير ايضاً بشكل طبيعي وكهاوٍ للفن، متحولاً الى دون كيشوت الذي يلهو ويحن.

بدا لي كأنه صمت فكرّرت القول :

« لوبين، أرجوك !... »

أمام دهشتي نظر الي ثم أجاب :

« خذ قلماً يا عزيزي وورقة ».

أطعته بكل طيبة خاطر، وأنا سعيد. بمجرد تفكيري انه اخيراً سيملي علي بعضاً من صفحاته التي يدرك كيف يضفي عليها كثيراً من القريحة والذوق، أمّا الذي يضايقني لسوء الحظ انني مجبر على افساد كل هذا الجمال في الكلام، بسبب التوضيحات الكثيرة والتواسيع المضجرة.

« انك حاضر ؟ » قال لي.

ــ نعم. كلي آذان صاغية

ــ دوّن عندك : ١٩ ــ ٢١ ــ ١٨ ــ ٢٠ ــ ١٥ ــ ٢١ ــ ٢٠

ــ ماذا ؟

ــ « دوّن، قلت لك ».

كان جالساً على الأريكة، يلتفت باتجاه النافذة المفتوحة، ويلف حول اصابعه سيجارة من تبغ شرقي.

ثم لفظ :

« دوّن : ٩ ــ ١٢ ــ ٦ ــ ١ ... »

توقف قليلاً، ثم تابع

« ٢١ »

وبعد برهة من السكوت

« ٢٠ ــ ٦ ... »

هل هو مجنون ؟ نظرت اليه وبعد قليل شعرت بأن عينيه اللتين بدتا في أول الحديث غير مباليتين بما يحصل، أصبحتا منتبهتين تتابعان في جهة ما من الفضاء مشهداً يفتنهما.

مع ذلك كان يملي علي، تاركاً مسافات بين كل رقم من الارقام :

« ٢١ ــ ٩ ــ ١٨ ــ ٥ ... »

أمّا من النافذة، كل ما نستطيع تأمله هو قطعة من السماء الزرقاء نحو اليمين، وواجهة البيت المقابل، واجهة فندق قديم، شرفاته موصدة مثل العادة. ليس هنالك أي شيء مميز، ولا أي تفصيل يُبْدي نوعاً من الجديد بين كل ما عهدته منذ سنين ..

« ١٢ ــ ٥ ــ ٤ ــ ١ ... »

وفجأة، فهمت ... أو بالأحرى اعتقدت انني فهمت. لأنه كيف يمكن التسليم بأن رجلاً مثل لوبين، عاقلاً، ومقنّعاً بقناع التهكّم، يضيّع وقته في هذه السخرية ؟ لكن لم يكن هنالك أي شك معقول. كان فعلاً يعد الانعكاسات المتقطعة لأشعة الشمس المتلاعبة على الواجهة المسوّدة للمنزل العتيق، على ارتفاع الطبقة الثانية.

« ١٤ ــ ٧ ــ... » قال لوبين.

بعد عدة دقائق كان انعكاس النور قد غاب. ثم انعكس شعاع الشمس على مسافات متتابعة على واجهة المنزل، واختفى من جديد.

غريزياً كنت قد عددت، فقلت بأعلى صوتي : ٥... »

ــ « أدركت الآن ؟ غير مضر ! » وهنا بدا على لوبين كأنه يسخر مني.

اتجه لوبين الى النافذة وانحنى قليلاً ليتأكد من الجهة الصحيحة لأشعة النور. ثم عاد ليرقد ثانية على الكنبة قائلاً لي :

« الآن جاء دورك، ابدأ العدّ ... »

أطعت، للدرجة الكبيرة التي كانت توحي لي بأن هذا الرجل الشيطان يعرف الى اين يريد الوصول. فضلاً عن ذلك، لا يمكنني إلّا الاقرار بأن هذه الشعاعات من النور المنظمة على الواجهة، والظهور ثم الاختفاء الذي يتتابع كإشارات المنارة.

واضحٌ طبعاً هنا ان كل هذه الامور تصدر من منزل يقع في جهة الشارع الموجودين فيه، بحيث ان الشمس تتوغل بشكل منحرف عبر النوافذ، يخيل الينا هنا ان احداً ما يفتح أو يقفل بالتناوب كوةً، أو بالأحرى يتسلى في أن يعكس اشعة النور بواسطة مرآة صغيرة.

« قد يكون فتىً يلعب، صرخت وأنا متضايقٌ قليلاً من العمل الأبله الذي فُرِض علي.

ــ « هيا »، تابع دائماً!

وكنت أعدّ ... وأصفّ الأرقام ... كذلك الشمس ظلت تتابع رقصها أمامي، باتقان فعلاً كالرياضيات

« وبعد ذلك » قال لي لوبين، بعد صمت طويل ...

ــ باعتقادي، ان كل شيء انتهى على ما يظهر .. مرّت عدة دقائق دون أي حدث .. »

انتظرنا، دون حدوث أي وميض في الفضاء. هنا فكرت بالقاء مزحة :

« برأيي اننا أضعنا وقتنا. بضعة أرقام على ورق، الغنيمة ضئيلة ».

دون أن يتحرك من على الأريكة، استأنف لوبين القول :

« ألزم نفسك، يا عزيزي، باستبدال كل رقم من الأرقام بالحرف الأبجدي المناسب له بالعد، أليست الألف مثل ١، الباء مثل ٢، الخ ... »

ــ لكن هذا غباء ..

ــ غباء أو بلاهة على الاطلاق، ولكن بكثير من الأعمال التافهة في الحياة ... واحدة زيادة على ذلك ... »

خضعت لهذا الشُغْل البائس، ودوّنت الأحرف الأولى :

س ــ عا ــ ر ــ ت ــ و ...

توقفت مندهشاً :

« كلمة ! صرخت ... لقد تكونت كلمة من الحروف.

ــ « تابع اذاً، يا عزيزي »

وأكملت عملي، فتتالت الحروف التي ألّفت كلمات أخرى كنت افصلها دائماً عن بعضها كلما زادت. وأمام دهشتي الكبيرة، جملة كاملة أصبحت بين يدي.

« حسناً جداً هل انتهيت ؟ » قال لوبين اخيراً ».

ـــ انتهيت !... مثلاً، ربما هنالك أخطاء املائية.

ـــ « لا تهتم بذلك، أرجوك ... اقرأ ببطء »

حينئذ قرأت الجملة غير المتممة، والتي أعرضها عليكم هنا كما بدت لي :

« خصوصاً يجب الهروب من الخطر، تجنب الهجومات، عدم مجابهة القوة المعادية إلّا بأخذ الحذر، و ... استرسلت بالضحك

« اذاً انجلت الأمور ! أليس كذلك ! بهرتنا الأضواء ! لكن فعلاً لوبين، اعترف بأن هذه السُبْحة من النصائح، المصنوعة بفضل طباخة ماهرة لا تدفعنا كثيراً الى الأمام ».

قام لوبين دون أن يتخلى عن سكوته الشبيه بالبكم الاحتقاري، وأمسك بالورقة.

لقد تذكرت بعد حين، ان الصدفة في ذلك الوقت

أوقعت عيني على الساعة. كانت تشير الى الخامسة وثماني عشرة دقيقة.

لكن لوبين أثناء ذلك بقي واقفاً، الورقة بين يديه، بحيث يمكنني معاينة وجهه الفتي كما يحلو لي، تلك السهولة النادرة في تحريك العبارة التي تتوه أمهر المراقبين، لأنها قوته الكبيرة، فضلاً عن انها تحميه. على أية أدلّة يجب أن نُعَلّق كي نتحقق من وجه يتحول ارادياً، حتى دون الحاجة الى التصنع، وحيث كل كلمة عابرة تبدو كأنها العبارة النهائية ؟... على أية أوصاف ؟

كان هنالك شخص بيني وبينه معرفة، سيمته غير قابلة التغيير : تجعيدتان صغيرتان بشكل متقابل تحفران جبينه عندما يقوم بجهد كبير.

وضع الورقة جانباً وهمس :

« طفيلي »

دقّت الخامسة والنصف.

« كيف ! صحت به، لقد نجحت ؟ في خلال ١٢ دقيقة »

مشى لوبين قليلاً تارة يميناً وتارة يساراً في الغرفة، ثم أشعل سيجارة وقال لي :

« اسدِ لي معروفاً وذلك باعلام البارون رابستاين عبر الهاتف انني سأوافيه في الساعة العاشرة مساءً.

ـ سألته، البارون رابستاين، زوج البارونة المعروفة والمميزة.

ـ نعم.

ـ هل هذا جدي.

ـ جدي جداً.

كل الأشياء تختلط أمامي. عاجز عن مقاومته، فتحت دليل الهاتف وطلبت الرقم. لكن فجأة أوقفني لوبين بحركة المستبد، عيناه تحدّقان بالورقة التي أخذها ثانية وقال :

« لا، اصمت ... إعلامه بقدومي غيرُ مُجْدٍ هنالك ما هو أهمّ ... شيء غريب يقلقني ... لماذا هذه الجملة بقيت غير تامة ؟ لماذا هذه الجملة هي ... » بسرعة، أمسك عصاه وقبعته.

« لنذهب »، هذه المهمة تتطلب حلاً سريعاً، ولست مخطئاً على ما أعتقد.

ـــ هل تعرف شيئاً ؟

ـــ الى الآن، لا شيء أبداً.

على الدرج أمسك ذراعه بذراعي وقال لي :

« أعلم بكل ما يعرفه الجميع. البارون رابستاين هو رجل خبير بالأمور المالية اضافة الى انه رجل رياضي، بحيث ان الحصان « إتنا » ربح هذه السنة دورة أبسوم والجائزة الكبرى الخاصة بلونغ تشامب. لكن البارون قد وقع ضحية زوجته، المعروفة بشعرها الأشقر، وأناقتها الذواقة، لأنها هربت قبل ١٥ يوماً، حاملةً معها مبلغ ثلاثة ملايين، سرقته من زوجها، اضافة الى مجموعة من الماس، اللآلىء والمجوهرات التي كانت الأميرة دو بارني قد أوكلتها بها وكان عليها شراؤها. منذ اسبوعين، والبارونة ملاحقة عبر فرنسا وأوروبا. في كل وقت نعتقد اننا قبضنا عليها. قبل أمس حتى، في بلجيكا، الشرطي الوطني، الفائق الوصف غانيمار، عثر في فندق كبير على مسافرة ثبتت عليها الدلائل غير الممكن التغاضي عنها أو رفضها. بعد الاستعلامات اللازمة عُرفت بأنها ممثلة مسرح مشهورة، نيللي داريل. أمّا بالنسبة للبارونة فما زالت مفقودة. من

جهة اخرى، يقدم البارون رابستاين مكافأة مالية قدرها مئة ألف فرنك لمن يساعده ويجد له زوجته وقد وضع المال لدى كاتب العدل. في ناحية ثانية وللتعويض عن الضرر الذي لحق بالأميرة دو بارني، باع البارون بالجملة اسطبله المخصص للسباق، الفندق في بولفار **هوسمان** وقصر دو روكانكورت.

ـــ أمّا بالنسبة لسعر البيع، (زدت عليه) فسيُقبض قريباً حتماً. غداً، تنشر الصحف ان الأميرة دو بارني ستحصل على المال. لكن، لا أرى في الحقيقة الصلة التي تربط بين هذه القصة التي اختصرتها بشكل حسي، والجملة اللغزيّة.

لم يتنازل لوبين عن صمته ليجيبني.

تابعنا سيرنا في الشارع حيث اسكن بمسافة مئة وخمسين أو مئتي متر، عندما عبر الرصيف وأخذ يراقب بناية، قديمة الانشاء حيث يسكن عدد كبير من المستأجرين.

« من خلال حساباتي، قال لي، تنبعث من هنا الاشارات، وبالتحديد من هذه النافذة المفتوحة.

— في الطابق الثالث ؟

— « نعم ».

اتجه نحو الناطور وسأله :

« هل من أحد من المستأجرين له علاقة مع البارون رابستاين ؟

— وكيف لا ! نعم. قالت المرأة، لدينا السيد لافيرنو سكرتير ووكيل البارون. أنا التي أقوم بتدبير منزله.

— هل يمكننا رؤيته ؟

— رؤيته ؟ هو مريض جداً، مسكين هذا السيد.

— مريض ؟

— منذ خمسة عشر يوماً ... منذ مغامرة البارونة. عاد في يوم، وعوارض المرض بادية عليه، فانطرح في فراشه.

— لكن. ألا ينهض ؟

— اه ! هذا ما لا أعرفه.

— كيف لا تدرين.

— كلا، طبيبه يمنع الدخول الى غرفته، لقد أخذ مني المفتاح.

— مَنْ ؟

ـــ الطبيب، هو بنفسه يأتي ليعالجه، مرتين أو ثلاثاً في اليوم. ها هو، انظر، انه يخرج من المنزل، ولم يتجاوز على دخوله عشرون دقيقة ... عجوز ذو لحية رمادية، ونظارات مكسورة ... أين أنت ذاهب، يا سيد ؟

ـــ سأصعد، قوديني قال لوبين، الذي كان قد هرول الى الدرج. أليس هو الطابق الثالث، على اليسار ؟

ـــ لكن هذا مخالف وممنوع بالنسبة لي، صرخت المرأة وهي تلحقه. ثم ليس معي المفتاح، بما ان الطبيب ... »

واحد وراء الآخر، صعدا الطوابق الثلاثة. عند الدرجة الاخيرة، سحب لوبين من جيبه آلة، ورغم معارضات الناطورة، أدخلها في القفل. فتح الباب بكل سهولة حتى بدا لنا كأنه غير مقفل. ثم دخلنا.

في آخر الغرفة المظلمة، كنا نلمح نوراً يتسلل من خلال شقّ الباب. اسرع لوبين على الفور، وعند العتبة، صاح :

« آه ! تأخرت ! »

سقطت الناطورة على الأرض وكأنه أغمي عليها، دخلت بدوري الى الغرفة، ورأيت رجلاً نصف عارٍ طريح الأرض،

ساقيه منطويتين، ذراعيه ملتويتين، ووجهه النحيل الشاحب حيث تلمح عليه عبارات الرعب، وفمه متقرز كالجليد.

« لقد مات »، قال لوبين بعد فحص سريع.

ــ لكن، كيف ؟ صرخت، ليس هنالك أي أثر من الدماء.

ــ أجل، أجل، أجاب لوبين، مشيراً الى نقطتين أو ثلاث ظاهرة على صدره من خلال السترة المفتوحة ... قد يكون قد أمسك بحلق مهاجمه بيد، وباليد الأخرى أصيب في قلبه. أقول أصيب أو « طعن » قلبه لأن في الحقيقة الجرح غير محسوس، يمكننا الاعتقاد بأنه ثقب ابرة طويلة.

نظر أرضاً، حول الجثة. ليس هنالك ما يسترعي الانتباه، سوى مرآة جيب صغيرة، التي كان السيد لافيرنو يتسلى بها لعكس أشعة الشمس فتصبح وكأنها تتراقص في الفضاء.

لكن فجأة، انتبه لوبين الى نواح الناطورة وطلبها للنجدة، فارتمى عليها، وقال لها بغضب :

« اسكتي !... اسمعيني ... تستغيثين بعد قليل... اسمعيني وأجيبي فقط. إن لهذه المشكلة أهمية معتبرة.

السيد لافيرنو كان. له صديق في هذا الشارع، أليس كذلك ؟ في جهة اليمين ... صديق عزيز ؟

ــ نعم.

ــ صديق كان يلتقيه كل الأمسيات في المقهى وكان يتبادل معه صحف مشهورة ؟

ــ نعم.

ــ ما هو اسمه ؟

ــ السيد ديلاتر.

ــ ما هو عنوانه ؟

ــ في ٩٢ من الشارع.

ــ كلمة بعد، الطبيب العجوز ذو اللحية الرمادية والنظارات المكسّرة والذي أخبرتني عنه، هل كان يأتي منذ وقت طويل ؟

ــ كلا. كنت لا أعرفه. جاء في نفس المساء الذي وقع فيه السيد لافيرنو طريح الفراش.

دون سماع المزيد قادني لوبين من جديد، نزل ثانية، وعندما أصبحنا على الطريق، دار نحو اليمين الذي جعلنا نمر من أمام شقتي. أربعة أرقام بعد ذلك، توقف لوبين أمام

الرقم ٩٢، منزل صغير وحيث الطابق الأرضي يسكنه بائع خمر والذي كان يدخن أمام عتبة بابه قرب ممشى الدخول. استعلم لوبين منه اذا كان السيد ديلاتر في منزله.

« السيد ديلاتر ذهب، أجاب البائع ... لقد مرّ حتى الآن على رحيله نصف ساعة ... كان يبدو مضطرباً، وركب سيارة اجرة، وهذا على غير عادته.

ــ ولا تعرف ...

ــ « اين يذهب ؟ لا تتردد اسأل، ليس هناك أي تحفظ أو كتمان أسرار. قال العنوان بصوت عال جداً ! « الى مركز الشرطة »، هذا ما قاله للسائق ... »

كاد لوبين أن ينادي بنفسه سيارة تاكسي، عندما غيّر رأيه، وسمعته يهمس :

« لم ذلك، لديه كثير من التقدم !... »

سأل ايضاً اذا أتى أحد بعد مغادرة السيد ديلاتر.

ــ « نعم، سيد عجوز له لحية رمادية ونظارات صعد الى منزل السيد ديلاتر، قرع الباب ومن ثم غادر المكان ».

ــ « أشكرك، سيدي ». قال لوبين مسلماً عليه.

أخذ يمشي ببطء، دون أن يكلمني، ولكن القلق والاهتمام يبدوان عليه. أما الشيء الذي كان خارج أي شك هو ان المشكلة بالنسبة له صعبة جداً. ولم يكن يرى بوضوح في الظلمات اين يمكنه الاتجاه مع مزيد من اليقين.

فضلاً عن ذلك، هو بنفسه أقرّ :

« لدينا هنا أمور تستوجب كثيراً من الادراك والسرعة أكثر من التفكير. خاصة ان هذه المشكلة جديرة بالاهتمام ! »

كنا قد وصلنا الى البولفار، دخل لوبين الى حجرة صغيرة للقراءة، واطلع ملياً على آخر الصحف. من وقت لآخر، كان يهمهم :

« أجل ... أجل ... طبعاً انها مجرد افتراض، لكنها تفسر كل شيء ... والافتراض الذي يجيب عن كل الأسئلة، ليس بعيداً أن يكون حقيقة ».

اسدل الليل ستاره، وتعشينا في مطعم صغير، وكنت ألاحظ ان وجه لوبين ينتعش شيئاً فشيئاً. تصرفاته أصبحت

أكثر عزماً على اكتشاف الحقيقة، وشعرت بأنه بدأ يسترجع البهجة وحب الحياة.

طوال فترة المسافة التي سلكناها على بولفار **هوسمان** باتجاه مقر البارون رابستاين، كنت أماشي لوبين في كل الاتجاهات. لوبين، الذي قصد التحرك على جميع الأصعدة لربح المعركة. قبل وصولنا الى شارع كورسال بقليل، خفت سرعتنا في السير. كان البارون رابستاين يسكن في الجهة اليسرى، بين هذا الشارع والفوبور سانت اونوري، في فندق مؤلف من ثلاثة طوابق حيث نلمح واجهة مجمّلة بعواميد مزخرفة ومنقوشة.

« توقف ! » قال لوبين فجأة.

ـ ماذا هنالك ؟

ـ اثبات آخر يؤكد على صحة تجربتي ...

ـ أي دليل ؟ لا أرى شيئاً.

ـ أنا أرى ... هذا يكفي ... »

فما كان منه إلا ان كشف عن زنوده، اخفض اطراف قبعته الطرية على وجهه ثم قال :

« الويل ! ستكون معركة ضارية. هيا اذهب للنوم يا

صديقي العزيز. غداً اخبرك عن تحرياتي وتجربتي ... المهم عسى أن لا تلكفني حياتي ».

ـ ماذا ؟

ـ ايه ! ايه ! أنا معرّض للخطر. أولاً : توقيفي، أمله ضئيل. ثم، الموت، هو أشنع ما يكون ! فقط ... »

وهنا أخذني بعنف من ذراعي وقال :

« لكن هناك شيئاً ثالثاً أخشاه، هو أن أضع في جيبي مبلغ مليونين .. وعندما أحصل عليه، سيرون ما أنا جدير بالقيام به. أسعدت مساءً يا عزيزي، ربما لن تراني مرة ثانية ... ».

ثم تكلم بلهجة تفوح منها فخامة التعبير :

« أغرسْ صفصافاً في المقبرة،

اعشق أوراقه المكدّرة ... »

ابتعدت في الحال. بعد دقائق معدودة .. تابعت كتابة النص من خلال ما كان سيخبرني إياه في الغد. ثلاث دقائق بعد ذلك، كان لوبين يقرع باب الفندق المقيم فيه رابستاين.

« هل السيد البارون موجود ؟ »

ــ أجل، « أجاب الخادم وهو يتأمل هذا الدخيل دون أن يخفي استغرابه) لكن السيد البارون لا يستقبل أحداً في مثل هذا الوقت.

ــ ألم يعلم السيد البارون باغتيال وكيله لافيرنو.

ــ بلا شك.

ــ « حسناً، يجدر بك الآن إعلامه بقدومي، في خصوص هذا الحادث، وعدم تضييع الوقت ».

وعند ذاك سمعت صوتاً يصيح من الطابق العلوي :

« دعه يصعد، أنطوان ».

بناءً على الأمر الذي صدر بلهجة قاطعة، قاد الخادم لوبين الى الطابق الأول، حيث كان يقف على عتبة الباب سيد عرفه لوبين جيداً من خلال رؤيته له في الصحف، انه البارون رابستاين زوج البارونة، صاحب « إتنا »، الحصان الشهير هذه السنة.

انه رجل ضخم، مربع الكتفين، وجهه يسوده تعابير اللطف والمحبة، فقط عيناه الحزينتان لا يطولهما الفرح. كان يرتدي ملابس أنيقة، سترة مخملية، بنية اللون، أمّا ربطة عنقه المزيّنة بلؤلؤة، فاسترعت انتباه لوبين لقيمتها المعتبرة.

أدخل البارون لوبين الى حجرة عمله، المحاطة من كل جوانبها برفوف خضراء، ومؤلفة من مكتبة، ومكتب وخزنة. على الفور بادر بالقول :

« هل تعرف شيئاً ؟ »

ـ نعم سيدي البارون.

ـ طبعاً، بالنسبة الى اغتيال المسكين لافيرنو، أليس كذلك ؟

ـ نعم، سيدي البارون، وبالنسبة ايضاً للسيدة البارونة.

ـ « أيعقل هذا ؟ بسرعة، أتوسل اليك ... »

قدّم كرسياً للوبين حيث جلس، وباشر :

« سيدي البارون، الظروف خطرة. سأكون سريعاً.

ـ طبعاً ! طبعاً !

ـ حسناً، يا سيدي، سأشرح لك ببضع كلمات دون اية مقدمات. لقد كان لافيرنو الموجود في غرفته منذ خمسة عشر يوماً بفعل المرض، وكأنه معزول عن الناس بأمر من طبيبه .. يا الهي ! كيف أفسّر لك ؟ كان لافيرنو يحاول أن يبرق الي ببعض الاكتشافات بواسطة الاشارات

التي تعكسها اشعة الشمس، والتي دونت قسماً منها ساعدتني في اتباع خطى هذه المهمة. وقد اندهش هو نفسه لهذا الاتصال واغتيل لذلك.

ـ لكن بواسطة من ؟ من ؟

ـ بواسطة طبيبه.

ـ ألا تعرف اسم هذا الطبيب ؟

ـ أجهله. لكن أحد أصدقاء السيد لافيرنو، السيد ديلاتر الذي كان يتصل به دائماً، يعرف حتماً اسمه، ويعرف طبعاً الاتجاه الكامل للذي حدث، لأنه قفز فجأة في سيارة أجرة وطلب بأخذه الى مركز الشرطة.

ـ لماذ ؟ لماذا ؟... وما هي نتيجة هذه الخطوة ؟

ـ النتيجة سيدي البارون هي أن فندقك محاصر. اثنا عشر شرطياً ينتظرون تحت نوافذك. وعند شروق الشمس، سيدخلون باسم القانون، ويوقفون المجرم.

ـ اذاً الذي قتل لافيرنو يختبىء في هذا الفندق ؟ ربما أحد من خدامي ؟ لكن لا، بما انك تتكلم عن طبيب !...

ـ دعني يا سيدي انبهك الى ان السيد ديلاتر كان

يجهل تماماً ان لافيرنو سيقتل عندما ذهب الى مركز الشرطة ليطلعهم على اعترافات صديقه. خطوة السيد ديلاتر كانت تهدف الى شيء آخر ...

ــ أي شيء ؟

ــ اختفاء السيدة البارونة، الذي كان ديلاتر على علم به من خلال اتصال لافيرنو.

ــ « ماذا ! اخيراً ! وجدوا البارونة ! أين هي ؟ أين المال الذي اغتصبته مني ؟ »

كان البارون يتكلم بحماس مذهل. نهض وهتف الى لوبين :

« ابحث حتى النهاية، يا سيد. لا يمكنني أن أنتظر أكثر من ذلك ».

تابع لوبين الكلام بتردد :

« هو ان ... هذا ... التوضيح والتفسير أصبحا معقدين ... ذلك اننا ننطلق من وجهة نظر مخالفة تماماً.

ــ لا أفهم.

ــ يجب أن تفهم سيدي البارون ... كنا نقول، أليس

كذلك ... وأعود للصحف ــ ان البارونة رابستاين تقاسمك أسرار كل أعمالك، حتى انه كان بامكانها ليس فقط فتح الخزنة بل سرقة ايضاً المصرف حيث تخبىء كل ما هو قيم.

ــ نعم.

ــ والحالة هذه، منذ خمسة عشر يوماً، وذات مساء، عندما كنت في النادي، خرجت البارونة من هنا ومعها حقيبة سفر حيث وضعت مالك من دون علمك، اضافة الى مجوهرات الأميرة دو بارني ؟

ــ نعم.

ــ ومنذ ذلك الحين ألم يرها أحد ؟

ــ كلا.

ــ اذاً، هنالك حجة واضحة لعدم رؤيتها مرة اخرى.

ــ ما هي ؟

ــ هي ان البارونة رابستاين قد اغتيلت ...

ــ اغتيلت !... البارونة !... لكن أنت مجنون !

ــ قُتلت، وفي ذلك المساء، حتماً.

ــ أعود وأقول لك انك مجنون ! كيف يمكن أن تكون

اغتيلت والكل يتتبعها خطوة خطوة ؟...

ــ نتبع خطى امرأة اخرى.

ــ من هي هذه المرأة ؟

ــ شريكة المجرم.

ــ وهذا المجرم بالذات ؟

ــ هو نفسه، الذي كان منذ خمسة عشر يوماً، قد اكتشف بطريقة ما ان لافيرنو يعرف الحقيقة، فحجزه في غرفته، وأجبره على السكوت. وهو نفسه، الذي فاجأ لافيرنو وهو يتصل بأحد أصدقائه، فقتله على الفور بخنجر حاد في قلبه.

ــ الطبيب، اذاً ؟

ــ نعم.

ــ لكن من هو هذا الطبيب ؟ من هو هذا الشخص المحب للأذية، الذي يظهر ثم يختفي، يقتل في الظلمة ولا أحد يشك به.

ــ ألم تحزر بعد ؟

ــ كلا.

ــ هل تحب أن تعرف ؟

ــ أحب أن أعرف ! هيا تكلم !... أتعرف أين يختبيء ؟

ــ نعم.

ــ في هذا الفندق ؟

ــ نعم.

ــ أهو الذي تفتش عليه الشرطة ؟

ــ نعم.

ــ مَنْ هو ؟

ــ أنت !

ــ « أنا !... »

لم يمض من الوقت أكثر من عشر دقائق والمبارزة بدأت بين لوبين والبارون. الاتهام كان محدداً، عنيفاً، غير قابل للمغالطة.

قال ثانية :

« أنت نفسك، متحولاً الى عجوز بفضل لحية مزيفة ونظارة. قطعاً، أنت البارون رابستاين، لحجة واحدة ومفيدة لم تخطر ببال أحد، اذا لم تكن أنت الذي دبّرت كل هذه المكيدة، لبدت لنا المشكلة غير مفهومة. بينما اذا اعتبرناك

متهماً فكل شيء ينجلي. لقد قتلت البارونة لتتخلص منها فتنعم بالملايين مع امرأة اخرى، وقتلت ايضاً سكرتيرك لافيرنو لتتخلص من شاهدٍ يشكل خطراً عليك. اه ! الآن كل شيء بات واضحاً.

بقي البارون منذ ابتداء الحديث، منحنياً تجاه محدثه، يراقب كل كلمة يلفظها بشراهة محمومة، ثم تدارك الأمر واستقام قليلاً، كان ينظر الى لوبين، وكأنه قد عهد بهذه المهمة الى مجنون.

عندما أنهى لوبين كلامه، عاد البارون خطوتين أو ثلاثا الى الوراء، وبدا مستعداً للكلام لكن في النهاية بقي صامتاً، واتجه نحو المدخنة ليرن الجرس.

أمّا لوبين فلقد وقف صامتاً، ينتظر مبتسماً.

« بامكانك النوم يا انطوان، سأرافق السيد ».

ــ أأطفىء النور، سيدي ؟

ــ دع الرواق مضيئاً بالنور.

انسحب انطوان، وعلى الفور سحب البارون من دُرْج مكتبه مسدساً، اقترب من لوبين، ووضع السلاح في جيبه ثم قال بهدوء تام :

« اعذرني، يا سيد، أنا مضطر لاتخاذ الاحتياط، لأنه في حال ... وربما كان ذلك غير معقول ... في حال انك أصبحت مجنوناً. لكن لا، لست مجنوناً. أتيت الى هنا لهدف لم أفهمه بعد، وأصدرت اتهاماً مفاجئاً ضدي، فأنا الآن في غاية الفضولية لمعرفة الدافع الذي أوصلك الى اتهامي ».

كان يتكلم بتأثر، عيناه الحزينتان بدتا مغرورقتين بالدموع.

اقشعر لوبين. هل أخطأت ؟ الافتراض الذي أوحاه له حسه وادراكه، والذي كان يستند على أحداث صغيرة، هذا الافتراض أهو خطأ ؟ لكن تفصيلاً واحداً جذب انتباهه : من خلال التجويف في السترة، وقع نظره على رأس الابرة المثبتة على ربطة عنق البارون، واستنتج الطول المخالف للعادة لهذه الابرة. اضافة الى ان اللؤلؤة كانت على شكل مثلث بحيث تبدو كخنجر حاد، ناعم، مخيف اذا كان بين ايدٍ خبيرة.

هنا لم يعد لوبين يشك إلا بأن الابرة المزينة باللؤلؤة المدهشة كانت السلاح الذي قتل المسكين لافيرنو.

فهمس :

« أنت قوي جداً، سيدي البارون ».

أمّا البارون الذي حافظ على صمته وكأنه لا يدري بشيء، أو كالذي ينتظر تفسيرات هي من حقه. ثم تابع لوبين :

« أجل قوي جداً، لأن البارونة حتماً قد انصاعت لأوامرك أنت عندما سرقت أموالك، واستعارت مجوهرات الأميرة لشرائها في ما بعد. ومؤكد ايضاً ان الشخص الذي خرج من الفندق ومعه حقيبة سفر قد لا يكون زوجتك، بل شريكة لك، صديقتك التي تطارَدُ بارادتها من قبل غانيمارد في اوروبا. وهنا أرى ان التنسيق يبدو رائعاً. ان هذه المرأة لا تخشى شيئاً لأن البارونة هي الملاحقة وليس هي : وكيف يعقل التفتيش عن امرأة غير البارونة خاصة وانك قدمت مكافأة مالية قيّمة للذي يجدها ؟ »

آه ! مبلغ المكافأة الذي وضعته عند كاتب العدل، أي ضَرْب من الذكاء ! لقد أدهشوا الشرطة، وسدوا أعين المبصرين. طبعاً، سيد يضع مبلغ مئة الف فرنك لدى كاتب عدل يقول الحقيقة. وهكذا نلاحق البارونة !

ونتركك في حالك تبيع اسطبل السباق، وتتهيأ للهرب ! يا الهي ! كم هذا غريب ! »

لم يحرك البارون ساكناً. تقدم باتجاه لوبين وقال له دائماً بنفس اللجهة الباردة :

« من أنت ؟ »

انفجر لوبين بالضحك :

« أية أهمية تكمن لذلك بالمناسبة ؟

افترض انني مبعوث من القدر، وظهرت بغتة من الظلمة لكي اضيعك ! »

قام بعجلة، وأمسك البارون من ذراعه ثم تكلم بطريقة غير منتظمة :

« أو لانقاذك يا بارون. اسمعني. ان مبلغ الثلاثة ملايين الخاص بالبارونة، ومجوهرات الاميرة والمال الذي قبضته اليوم من البيوعات التي قمت بها، كلها هنا، في جيبك أو في هذه الخزينة. لقد تهيأت للهرب. خُذْ مثلاً وراء هذا الستار، يظهر جلدُ حقيبتك، وفي مكتبك الأوراق كلها مرتبة. وهذه الليلة كنت ستهرب دون علم أحد، متنكراً، لقد اخذت كل احتياطاتك، لتلحق بعشيقتك التي من

أجلها قتلت : نانسي داربل، بدون شك، لكن حاجزا مفاجئاً، غير منتظر وقع وهي الشرطة، فالاثنا عشر شرطياً متأهبون يحاصرون نزلك. لقد انتهيت ! لكن حسناً، سأنقذك. بمجرد اتصال هاتفي، يمكنني أن أستعين ببعض أصدقائي لانقاذ الموقف، وذلك باختطاف الاثني عشر شرطياً، ومن دون أية ضجة، تهرب. أمّا الشروط، فهي تافهة بالنسبة لك، نتقاسم الملايين والمجوهرات. هل توافق ؟

كان لوبين منحنياً على البارون يميزه بنظرات لا تقاوم. فهمس البارون :

« بدأت أفهم الآن، انه تهديد ... »

ـ « تهديد أو غير تهديد سمّ هذا كما تشاء، لكن يجب أن تخضع لشروطي، ولا تعتقد انني أغير رأيي في آخر لحظة. لا تقل لنفسك : « انه انسان حسن السمعة « وخوفه من الشرطة سيدفعه الى التفكير. أو اذا قمت بلعبة كبيرة ورفضت، سيخشى طبعاً السجن ». أنت مخطىء بتفكيرك سيدي البارون. أنا يمكنني الانسحاب في أي وقت، لكن هنا كل شيء يتعلق بك وحدك ... المال أم الحياة وإلّا ... وإلّا الاعدام ! هل وافقت ؟ »

بحركة فجائية، تخلص البارون من يد لوبين، وأمسك بالمسدس وأطلق النار.

لكن لوبين استدرك الهجوم، بعدما تغير وجه البارون الذي فقد كل شعور بالأمان، وطغى عليه بفعل الخوف تعبير وحشي، يعلن بالثورة المكبوتة.

اطلق النار مرتين ... انطرح لوبين جانباً في بادىء الأمر ثم انقضّ على ركبتي البارون، أمسكه بساقيه وأوقعه ارضاً. لكن البارون استطاع أن يقف على رجليه. وبلغت المشاحنة والمصارعة بينهما أوجها عندما انبطحا أرضاً واسترسلا في معركة ضارية.

فجأة، أحسّ لوبين بألم في عنقه.

« آه ! سافل ! لقد مارست نفس اللعبة التي قتلت بها لافيرنو. الابرة !... »

شدّ وقاوم بدون أمل، لكنه استطاع أن يسيطر على البارون ويمسك برقبته، لقد انتصر اخيراً بكل فخر.

« أيها الأحمق ! لو لم تكتشف لعبتك، لكنت مستعداً لترك هذه المهمة. ان لك وجه الرجل الطيب ! والعضلات

القوية ! لفترة، اعتقدت ... لكن هذه المرة، نجحت ... ! هيا يا صديقي، أعطني الابرة وابتسم ... لكن لا، انك تتظاهر بذلك ... ربما انني أشد كثيراً ؟ هيا ابق عاقلاً ... فقط خيط صغير حول معصميك .. أتسمح ؟ ... يا الهي، أي تفاهم كامل بيننا ! هذا مؤثر .. في الواقع، أتعرف، انني اعطف عليك ... والآن، يا اخي الصغير، انتبه ! وألف اعتذار !... »

نهض لوبين، وبكل قواه، سدّد للبارون لكمة على معدته افقدته وعيه.

« هذا مصير الذي يخلو من المنطق، يا صديقي » قال لوبين. قدمت لك نصف غنائمك. أما الآن فلا أتجاوب معك بأي شيء ... في أي مكان يا ترى خبأ هذا المحتال أمواله ؟ في الخزنة ؟ يبدو ذلك متعباً جداً. من حسن الحظ ان لدي متسع من الوقت ... »

انهمك بتفتيش جيوب البارون، ثم حمل رزمة من المفاتيح وكان تأكد ان الحقيبة المخبأة وراء الستار لا تحتوي على الأوراق أو المجوهرات، بعدئذ اتجه نحو الخزنة.

في نفس الوقت، توقف قليلاً : كان يسمع ضجة في

مكان ما. الخدام ؟ غير معقول ! ان مخدعهم يقع في الطابق الثالث. انصت قليلاً، كان الضجيج صادراً من الطبقة السفلى. وبسرعة فهم : انهم رجال الشرطة وقد سمعوا اطلاق النار، وها هم يقرعون الباب الكبير دون انتظار شروق الشمس.

« يا الهي ! انني في ورطة كبيرة. ها هم قد أتوا في الدقيقة التي كنت سأجني بها ثمرة جهدي ... يجب أن احافظ على برودة أعصابي ! لا يمكنني أن أفتح خزنة خلال عشرين ثانية دون معرفة السر الذي يكمن وراء ذلك. ما علي الا ان اكتشفه. كم حرفاً يوجد في الكلمة ؟ أربعة ؟ »

كان يتابع التفكير وهو يحاذر اقتراب الضجة الآتية من الخارج. اقفل باب الغرفة، ثم عاد الى الخزنة.

« أربعة أرقام ... أربعة أحرف ... من يمكنه أن يساعدني ؟... مَنْ ؟... لكن لافيرنو ! الطيب الذي تعب كثيراً في حياته، وهو يهتم بعلم البصريّات ... يا الهي ! كم أنا مغفل. وصلنا !

ـ سأعد حتى العشرة ثم اضغط دقات القلب السريعة.

عدّ حتى وصل الى العشرة بكل هدوء، ثم ركع أمام الخزنة وأدار الأربعة أزرار بكل دقة، ثم تأمل رزمة المفاتيح، اختار واحداً ثم آخر وحاول ادخاله في الخزنة.

« الثالثة ثابتة » همس لوبين، وهو يحاول المفتاح الثالث ... انتصرت ! لقد نجحت ! افتح يا سمسم ! »

« دار القفل، وتخلخل المصراع، فجذبه لوبين في اتجاهه وسحب المفتاح.

« لنا الملايين »، قال لوبين، « بدون ضغينة أيها البارون رابستاين ».

وبقفزة واحدة، تراجع لوبين الى الوراء .. بادياً عليه الرعب. ساقيه ارتجتا من تحته، والمفاتيح تتصادم في يده محدثةً رنيناً مشؤوماً. بالرغم من الضجة التي تحدث في الأسفل، ورنين الأجراس التي تدوي في أرجاء الفندق، بقي هنا، عيناه شرستان تتأملان الرؤيا الرهيبة : جسد امرأة منحنية في الخزنة، مكدسة كرزمة كبيرة ... شعرها الأشقر متدلٍ .. ودم ...

« البارونة ! تمتم لوبين، البارونـــة !... آه الوحش !... »

استفاق من ذهوله فجأة، ليبصق في وجه المجرم، ويطرقه ببعض اللكمات.

« خذ، أيها الشقي !... خذ ايها الوحش ! ومع هذا لن تنجو من المقصلة ... »

إلّا انه في الطوابق العليا كانت هناك اصوات تستجيب لنداءات الشرطة. سمع لوبين خطوات على الدرج. لقد آن وقت التفكير في وضع حد لهذه القضية.

في الواقع، لم يكن مزعوجاً كثيراً. في أثناء حديثه مع البارون رابستاين، تخيل من كثرة ما أظهر العدو برودة أعصاب، انه يتحتم وجود مخرج خاص. لماذا اذاً استرسل البارون في الصراع، حتماً لأنه كان أكيداً من قدرته على الهرب ؟ انتقل لوبين الى الغرفة المجاورة المطلة على حديقة، في اللحظة ذاتها التي دخل فيها رجال الشرطة بعدما تسلقوا الشرفة، بواسطة المزاريب. أمّا لوبين فلقد لفّ حول الأبنية. في الجانب الآخر، كان هناك حائط محاطاً بشجيرات، تمركز بين الحائط والشجيرات، ووجد باباً صغيراً فتحه بسهولة بواسطة رزمة المفاتيح. وعندما لم يبق عليه إلّا عبور الباحة. بعد فترة وجيزة وجد نفسه في شارع فوبور سانت

اونوريه. وهنا تأكد تماماً ان الشرطة لم تحسب حساباً لهذا المخرج السرّي.

« اذاً، ما قولك، عن البارون رابستاين ؟ » (صاح لوبين بعدما أخبرني بتفاصيل تلك الليلة المأساوية) انه لانسان قذر ! كم يجب ألا تخدعنا المظاهر ! أقسم لك ان هذا الاخير كانت تبدو عليه معالم الرجل الطيب الوقور ! »

فسألته :

« لكن ... الملايين ؟ مجوهرات الاميرة ؟ »

ـ لقد كانت في الخزنة. أتذكر جيداً انني رأيت الرزمة.

ـ اذاً ؟

ـ انها لا تزال في الخزنة.

ـ غير معقول.

ـ أعتقد انه معقول. يمكنني القول انني خفت من الشرطة. الحقيقة بسيطة جداً ... ونثرية ... كنت أشعر بشيء مقرف فعلاً !...

ـ ماذا ؟

ـ أجل يا عزيزي، **الرائحة التي** كانت تنبعث من الخزنة، من ذلك التابوت ... كلا لم أكن أستطيع ... أصابني دوار في رأسي ... ثانية بالأكثر، وكدت أصاب بالتقيؤ. هل هو غباء ؟ خذ، هذا كل ما جئت به من خلال تجربتي، ابرة ربطة العنق. اللؤلؤة، تساوي بيني وبينك خمسين ألف فرنك ... لكن في كل الأحوال، أعترف لك اني مكدّر. اي غلطة !

ـ سؤال بعد. كلمة الخزينة ؟

ـ ما هذا ؟

ـ لكن كيف اكتشفت ذلك ؟

ـ بكل سهولة. لقد تعجبت لأنني لم أفكر بها قبلاً.

ـ مفهوم ؟

ـ كانت كلمة الخزنة موجودة في الاعترافات التي وفرها لنا المسكين لافيرنو.

ـ أرأيت ؟

ـ لنر يا عزيزي الأخطاء الاملائية ..

ـ أخطاء املائية ؟

ـ بحق الشيطان، ولكن هذه الأخطاء كانت

مقصودة. هل يعقل أن يرتكب سكرتير ووكيل البارون أغلاطاً املائية عديدة ؟ أما أنا فلقد اكتشفتها بجمع الأربعة حروف من خلال الأخطاء وبذلك حصلت على الكلمة : « إتنا »، اسم الحصان المشهور.

ــ وهل هذه الكلمة وحدها وفت بالمطلوب ؟

ــ أجل، طبعاً ! أفاد، في معرفة الاتجاه الصحيح لمهمة رابستاين ومن ثم أولد في نفسي الشعور والافتراض بأنه لغز الخزينة ؛ بما ان لافيرنو كان يعرف محتواها من جهة، وكان سيشي بالبارون من جهة ثانية. وهكذا تتالت الشكوك التي قادتني الى ربط الأشياء بعضها ببعض ومعرفة الحقيقة.

ــ وهكذا انتهى كل شيء، بكل بساطة !

ــ بسيط جداً. هذه المغامرة تثبت مرة أكثر، انه أثناء اكتشاف الجرائم، هناك ما هو أكبر من فحص الأدلة، والمراقبة، والتحليل والاستنتاج .. انه الحدْس والذكاء. أما ارسين، بدون افتخار، فلا تنقصه أية واحدة من هاتين الميزتين.